

رسالة مفتوحة

إلى روم لبنان

د. مارك الأشقر

٢٠٢٢

رسالة مفتوحة إلى أبناء المذهب الرومي في لبنان، وخاصةً الأرثوذكس منهم

إلى إخواني في المسيحية،

تحية وكامل احترامي وبعد،

خاصةً وأنكم تحاولون الحفاظ على هويتكم وتطلعون إلى الأمام عسى تحققون ما تصبون إليه.

أكتب لكم وأنا أنشارك وإياكم الأمنية، كشخص ذهب بعيداً في التحليل وتشخيص المعضلة اللبنانية بما فيها الرومية ومقاربة حلها على مدى ١٠ سنوات، إستناداً للعلوم الجينية والسوسولوجية والدينية واللغوية... وإليكم النتيجة التي وصلت إليها، وأترك لكم تقييمها، وفيها وجدت أن الروم يحاولون إصلاح مشكلتهم ضمن نفس الخطأ الذي وقع به الموارنة ولا يزالون. لذا فأنا أدعو الموارنة للخروج من خطئهم، والروم أيضاً، لأن سر الحل السليم هو خارج "الفخ" الذي وقعت به الجماعتان.

ففي بعض الحقائق،

الروم (والموارنة أيضاً) المشرقيين ("مشرقي" تسمية أوروبية) أي في شمال غرب وجنوب سوريا، لبنان، فلسطين وغرب الأردن، هم كنعانيون (في لبنان وطرطوس) وآراميون (في جنوب سوريا) وحمويون ويمحاضيون (في شمال غرب سوريا / عدا طرطوس) وأنباط (ذاب بهم بعض العبرانيين، في فلسطين) اعتنقوا الدين المسيحي. لا أستطيع أن أشرح التفاصيل هنا. والآراميون والحمويون واليمحاضيون وإلى درجة أقل الأنباط هم ذو ثقافات شبه كنعانية. وكل هؤلاء هم أول ناس، وللحقيقية روم لبنان تحديداً، اعتنقوا المسيحية في العالم، باستثناء الحلقة الضيقة ليسوع من عبرانيين قلائل من الذين كانوا ذوي ديانة يهودية. وكانت أنطاكية أول كنيسة.

نحو ٤٠٠ ق.م. ضمت عبارة "آراميين" كل سكان سوريا (بسبب تسمية اليهود للغة الكنعانية، اللغة السائدة، بـ"آرامية" قبل ١٠٠ عام - لن أدخل بالتفاصيل). وبعدها بـ ٦٠٠ عام، نحو ٢٠٠ ميلادي، ضمت التسمية كنعانيي لبنان الذين كان الإغريق فالرومان يسمونهم بـ"فينيقيين" منذ ١٢٠٠ ق.م..

نحو ٤٠٠ ميلادي راجت اللغة السريانية كلغة فصحي في شمال شرق سوريا ودخلت إلى شمال غرب سوريا كلغة فصحي وليتورجية _ فمار مارون لم يكن سرياني (أقول هذا وأنا ماروني)، كما دخلت إلى جبل لبنان الذي كان لا يزال وثني، وانتشرت إنما بخجل في باقي غرب المشرق* حتى مصر، بينما حلت شبه كلياً في شبه الجزيرة وبلاد ما بين النهرين، وفي بلاد فارس بشكل قوي إلى جانب اللغات الإيرانية (الفارسية، البارتية...). وانتشار السريانية كفصحي جاء على حساب الكنعانية (المسمات آرامية).

* إذا اعتبرنا المشرق يشمل بلاد كنعان وما بين النهرين والبادية؛ البعض يحدده ببلاد كنعان.

فراج أن اللغة السريانية هي الفصحي للآرامية (اكرر، التي هي الكنعانية إنما بتلك التسمية من قبل اليهود)، أي المحكية (تماماً كما حال العربية والمحكية في لبنان)، وأنهما لغة واحدة آرامية - سريانية. ونلاحظ أن الحرف الآرامي الإمبراطوري هو غير الحرف الآرامي - السرياني، أي أنّ عبارة "آرامي" هي تسمية خاطئة (مثل عبارة "فينيقي"!) باستثناء ما يعود لمملكة آرام السابقة والتي كانت عاصمتها دمشق. طبعاً كل هذا باختصار.

وأطلق السريان، ومعقلهم شمال شرق سوريا وجنوب شرق تركيا وأقصى شمال غرب العراق، مفرد "الروم" وبلاد الروم على مناطق سيطرة بيزنطيا في المشرق، لأن بيزنطيا كانت الإمبراطورية الرومانية الشرقية منذ عام ٣٩٥ وسابقاً جزء من الإمبراطورية الرومانية الشاملة، واستخدم العرب هذا المصطلح بعد السريان، وكان لا يزال مصطلح جغرافي وسوسيلوجي. ولكن لم يكن هناك روم وموارنة بعد، وكان مفرد "أرثوذكس" يعني الكنائس المسماة حالياً "مشرقية" وليس "شرقية"، أي السريانية والقطبية والحبشية والأرمنية، والـ ٤ ذات عقيدة مونوفيزية، وأيضاً النسطورية في العراق وفارس والجزيرة العربية، ذات عقيدة ديوفيزية إنما دون اتحاد أقنومي. أما "الروم والموارنة لاحقاً"، أي ضمن نطاق أنطاكيا، التي كان نطاقها يضم أورشليم والقسطنطينية قبل إنشاء بطريركيّين لكلتا المنطقتين، فكانوا يشكلون وروما الكنيسة الخلقيدونية، ذات عقيدة ديوفيزية باتحاد أقنومي. والانشطار في كنيسة أنطاكيا سيتم عام ٧٤٢ (بعد صراع منذ ٦٨٥)، وسيكون سببه سياسي وليس عقائدي (راجع أدناه). حينها سيستخدم مفرد "روم" للخلقيدونيين ذوي الطقس البيزنطي وهو باللغة اليونانية، وسيستخدم مفرد "موارنة" لأول مرة للدلالة على "قوم"، بطقسه الماروني وهو باللغة السريانية، نحو عام ٩٠٠ (إيه نعم! قبلها كانوا "أتباع مارون"، ويستعملون تسمية "لبنان" في لبنان: مثلاً: "الكنيسة الإنطاكية السريانية المارونية" التي مركزها اليوم في بركي، تأسست تحت اسم "كنيسة لبنان الحرة"). إذن يوحنا مارون هو أول بطريرك يسمى "ماروني" بمفعول رجعي، و"الروم" هم مذهب يُسمى "رومي" بفعل التسمية الجيو - إجتماعية السريانية / العربية. أما في الغرب فيسمى "الروم" ب"اليونانيون" (Greeks) نظراً للغة التي يستخدمونها. وبعد الانشطار الكبير عام ١٠٥٤، سيضم مصطلح "أرثوذكس"، من وجهة نظر روما في الغرب، "الروم - The Greeks"، الذين يُعرفون اليوم بالكنائس الشرقية، إلى جانب الكنائس "المشرقية".

رغم انتشار اللغة اليونانية كلغة فصحي للأوساط الفكرية والعلمية والدينية منذ الإحتلال الإغريقي عام ٣٣٣ ق.م. لا بل قبله بقرن، لم يمنع الإغريق استعمال الكنعانية (المسمات آرامية) كلغة فصحي ورسمية وحتى دينية، ولا منع الرومان منذ احتلالهم المنطقة عام ٦٤ ق.م. استعمال اليوناني والكنعاني (المسمى آرامي) كفصحي وكرسمية وكدينية، رغم أن استخدام الكنعانية سينحسر تدريجياً. بهذا، ظلّ سكان بيزنطيا في المشرق يصلون بلغتهم الكنعانية المسمات آرامية حتى عام ٣٢٨، حين أصدر قسطنطين قراراً يفرض اللغة اليونانية كلغة ليتورجية في المشرق، واستمر ذلك حتى فرض أبو منصور العباسي نحو عام ٧٦٠ العربية على الروم من الناحية الدينية (هو فرضها على المشرق حيث الأغلبية روم والأقلية مارونية، إلى جانب الكنائس الأخرى). وكان عبد الملك بن مروان قد فرض العربية رسمياً وفصحي في المشرق عام ٧٠٠ تحديداً.

إذن الروم والموارنة هم مسيحيون خلقيدونيون، بعقيدة واحدة خلقيدونية تشوبها ٣ إلى ٧ (أو لنقول بضعة) استثناءات دينية يختلفون عليها إثر الانشطار الكبير، وهي لا تمت إلى الحياة الإجتماعية بصلة. من بين تلك نذكر جدلية انبعاث الروح القدس من الأب وحده أو من الابن أيضاً، استعمال الخميرة لصناعة القربان أو عدمه، حبّ أم العذراء بلا دنس... هذا عدا الفارق في الطقس ولغته، وطبعاً سلطة أسقف روما الذي جعل منه، لدى الكاثوليك، بابا، فوق باقي الأساقفة، ولو انه يُعتبر الأول بين متساوين. وقام الأرثوذكس بالأمر عينه لناحية أسقف القسطنطينية تجاه أنطاكيا وأورشليم والإسكندرية، ولو أنّ تأثير القرار على أرض الواقع هو شبه معدوم نسبةً لدور البابا.

بيولوجياً، حسم العلم الجيني، رغم الحاجة لإيضاح بعض الأمور الثانوية، بأن اللبنانيين، والمشرقيين بدرجة أقل، هم أحفاد الكنعانيين، بمعزل عن المسلمين الذين حلوا بأعداد غير قليلة منذ الفتوحات (غير قليلة، أشدّ، في لبنان تحديداً). ودخول جماعات إغريقية ولاتينية وسواها بقي على نطاق ليس ضيق فحسب بل ضيق جدّاً، ~ ٢%. فلم يذب الكنعانيون بشعب آخر يوازيه حجماً أو أكبر، ولم يستوعبوا أعداد توازي نصفهم ولا ربعهم بل ٢%. بالتالي فإنّ الجماعات الصغيرة لا بل نقول الأفراد الذين دخلوا الشعب الكنعاني انصهروا به، وطبعاً أتوا بأمور من ثقافتهم، إنما

تعتبر جزء من تطور الشعب الكنعاني وليس تغيير بهويته العامة. وهذا يحصل لدى جميع الشعوب! ألم يذهب الكنعانيون إلى اليونان وباقي حوض المتوسط يأخذوا الفكر والحضارة؟

وكون المسيحية هي دين فقط، وليست دين ودنيا أي ليس لها شريعة للحياة اليومية، فدخلت إلى قلب الشعوب دون تغيير هوياتها. لكن الكنيسة أدخلت أمور دنيوية عبر باب العادات الدينية المنبثقة من الكنعانية وأكثر، من العبرانية / اليهودية، لكنها تبقى تلك خارج الفقه المسيحي ويجب الحد من مفعولها وتصحيح الخلل فيها. وأقله في لبنان، بقي الروم والموارنة اجتماعيًا ذوي هوية واحدة سوسولوجيًا. فهم منصهرون اجتماعيًا إذا ما استثنينا المواقف السياسية تجاه المسلمين، ورغم أقلية ذهبت نحو الأحزاب "اليسارية" (لن نعالج وضعها هنا).

أما للاحية "طائفة" (Confessional Community)، فهو مصطلح يرمي إلى التمييز بين مذهبين ضمن شعب (نعني شعب سوسولوجي أي بمعنى الهوية وليس إداري أي بمعنى الجنسية) واحد على قاعدة الاندماج الاجتماعي، رغم انصهار في الهوية، كما هي الحال بين السنة والشيعة والدروز. إن السردية السياسية المختلفة بين المقاومة "المارونية" لـ ١٣٠٠ عام وتحملها المصاعب والحصار مقابل اضطرار الروم للخضوع مدى ١٣٠٠ عامًا وتحملهم شروط الذمية لم تصل إلى عدم اندماج، على أن تداخلهما الجغرافي المحدود لم يسهل في الأساس بروز الاندماج حتى فترة ليست ببعيدة.

نقارن مع المسلمين المنصهرين اجتماعيًا، مثلاً في جميع التجارب المسيحية - الإسلامية، لكن غير المندمجين اجتماعيًا. على سبيل المثال، إن زواج ماروني برومية أو العكس لا يمثل مسألة اجتماعية ذات حساسية أقله في أيامنا_ على قدر زواج سني بشيعية أو درزية. ونرى أن المسلمين في لبنان لا يقطنون نفس البلدات سوى استثنائياً (حوالي ٢٠ بلدة من أصل ~ ٨٠٠؛ ممكن توضيح هذا الأمر خارج نطاق هذا المقال). وإذا وضعنا جانباً حس الفكاهة في المجتمع، وغسيل الأدمغة الذي حصل عند الأجداد، وحتى اختلاف الخيارات السياسية بين موارنة وروم بفعل الإحتلال المسلم وطريقة التعامل معه والذي كان السبب المباشر لانشطار الكنيسة الإنطاكية إلى موارنة وروم،* فلا نزال نقول "مسيحي سني شيعي درزي"، وليس "ماروني رومي سني شيعي درزي"... ولهذا التعبير دلالات عميقة...

هنا من المهم ذكر نبذة عن الخلاف الإنطاكي فيما خص التعامل مع المسلمين: كان بطريرك إنطاكية قد لجأ إلى القسطنطينية (إسطنبول حالياً) عام ٦٣٨ بسبب الإحتلال المسلم. واستمر بطاركة القسطنطينية (وهم أعلى شأنًا - ولو أول بين متساوين - من نظرائهم الإنطاكيين فقط بسبب كون القسطنطينية هي العاصمة - راجع مجعني ٣٨١ و ٤٥١)* سواسية مع الإمبراطور يعينون بطاركة لأنطاكية، والبطاركة الإنطاكيين هؤلاء يقيمون في القسطنطينية. وعام ٦٩١ دخل الإكليروس الإنطاكي وطريركه في القسطنطينية شرعياً تحت سلطة بطريرك القسطنطينية (التعبير وفق المراجع المختصة). لكن مسيحيي جبل لبنان كانوا قد انتخبوا عام ٦٨٥ يوحنا مارون الذي كان قد أسس "كنيسة لبنان الحرة" عام ٦٧٦، وأخذ لقب "بطريرك أنطاكية"، بعد غياب بطاركة أنطاكية عن المنطقة لمدة ٤٤ عامًا ودون أفق عودة. وبوفاة آخر بطريرك إنطاكي معين من القسطنطينية عام ٧٠٢، أوقف ملك بيزنطيا تعيين بطاركة إنطاكيين واعترف بيوحنا مارون بطريركاً أنطاكية على كرسي أنطاكية. لكن عام ٧٤٢، فضّل أتباع الطقس البيزنطي شرب الكأس المرّ وإعادة إكليروس خاص بهم وطريرك لهم في أنطاكية إنما يعينه الخليفة المسلم (أو يوافق عليه بالحد الأدنى)، كشرط ليقوم هذا البطريرك في الأراضي المحتلة ليرعى (ما تبقى ولم يؤسلم) من رعيته عن قرب، خاصة أن البطريرك في لبنان كان محاصراً ولا يستطيع الذهاب إلى أرجاء نطاق أنطاكية المحتل من المسلمين (نقولها بحبة وغفران إنما هذا ما هو عليه التاريخ). وبعد إلغاء الخلافة عام ١٩٢٣، انتقل هذا الحق إلى الحكام المدنيين للدول "العربية" وهي جميعها، ما عدا لبنان، تقول في دساتيرها "دين الدولة الإسلام"، وتستطيع أن ترفض تبوّء شخصية ما سدة بطريركية ضمن نطاقها، ما حصل في العراق في منتصف ٢٠٢٣. كل هذا مع التشديد، إذن، على أن لم تكن "كنيسة لبنان الحرة" مارونية تحديداً،

فقد تبعها وطاركتها الأقلية ذات الليتورجيا البيزنطية في جبل لبنان، حتى عام ١٠٥٧، حين التحقوا بالكنيسة الإنطاكية الرومية الأرثوذكسية بعد أن انشقت الأخيرة عن روما في العام نفسه، لتتبع الانشقاق الكبير بين القسطنطينية وروما عام ١٠٥٤. إذن انقسام هو سياسي على أساس جغرافي، إنما سيأخذ طابع مذهبي بسبب كون غالبية جبل لبنان ماروني المذهب بليتورجيا مارونية باللغة السريانية وغالبية المحيط رومي بليتورجيا بيزنطية باللغة اليونانية.

* عام ٣٨١ جعل أسقف روما أول بين متساوين أيضًا فقط بسبب كون روما هي العاصمة. لم تكن القسطنطينية بطريركية بعد.

إذن نورد مختصر يجب أن يُعمم ليعلم روم المشرق أنهم ليسوا في فلك اليونان سوى بفعل السياسة. أما دينيًا فهم ليسوا أقل شأنًا، ولن نقول انه "أكثر شأنًا" بل أقله أن "لهم الأقدمية"، واجتماعيًا هم مستقلين كليًا.

- ٣٢٨: قسطنطين يدخل الطقس البيزنطي باللغة اليونانية إلى الأناضول، وإلى المشرق مكان الكنعاني. لذا، سيشمل مفرد "يوناني" لدى الغرب لاحقًا مسيحيي لبنان وسوريا وفلسطين والأردن (أي إنطاكية وأورشليم (أي القدس بالعربية))، فهم يقولون بـ"طائفة اليونانيين" وليس بـ"طائفة الروم". وما زال الجبل اللبناني (أي من عكار إلى جزين) وثنيًا. بيد أن اللغة الرسمية للإمبراطورية البيزنطية ستبقى اللاتينية (إلى جانب اليونانية والكنعانية) حتى عام ٦١٠ لتصبح حينها فقط اليونانية.

- ٣٦٦: أسقف روما يُدعى لأول مرة قانونيًا ورسميًا "بابا"، إنما مراجع أخرى تقول بأن استعمال اللقب بانتظام لن يكون قبل القرن التاسع.

- ٣٨١: الديانة المسيحية تصبح ديانة الدولة الرومانية. أسقف روما يُمنح لقب "أول بين متساوين" أمام الإسكندرية وأنطاكية لأنها العاصمة، يليه أسقف القسطنطينية الذي سيُرفع شأنه والقسطنطينية لا تزال أسقفية (ليس لها بطريرك بعد)، لأنها العاصمة الثانية و"روما الجديدة". فيقرأ القانون الثالث: "على أن يكون لأسقف القسطنطينية امتياز الشرف بعد أسقف روما لأن القسطنطينية هي روما الجديدة"، ما يُعتبر في بعض المراجع اعترافًا بكونها بطريركية منذ تلك اللحظة، لكن أسقفها سيبقى يعين من قبل أنطاكية، ولن يكون لها بطريركًا إلا منذ عام ٤٥١.

- ٣٩٥: انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى غربية وشرقية (بيزنطية).

- ٤٥١: في هذا المجمع لم تعد بطريركية أنطاكية تشمل الأردن وفلسطين، حيث بات هناك بطريركًا مستقلًا لهما في كنيسة أورشليم. أيضًا، أول بطريرك قسطنطيني، لكن الذي سيُمنح رتبة "أول بين متساوين" بنفس رتبة روما.

كما لدينا أسباب مشابهة لكون الموارد في فلك الفاتيكان، لن نورد هنا.

بالعودة إلى المسيحية، فهي دين. إذن الكنعانيون بقوا كنعانيين إنما بافتقارهم لتسميتهم الأصلية. لم يحدث أي تبديل للشعب، وكان هو نفسه في الساحل يتاجر ويصنع الأرجوان وسيكون مسيحي ولاحقًا خلقيدوني ولاحقًا تحديدًا رومي، وفي الجبل يقطع الأرض بطريقة حرفية وينقلها إلى الساحل وسيكون مسيحي ولاحقًا خلقيدوني ولاحقًا تحديدًا ماروني. هم، الموارد والروم في لبنان، كنعانيون، ولو أفرينا بأنهم تغيروا "كثيرًا" عن أسلافهم. فكنعانيو القرن الأول ميلادي لم يكونوا كنعانيي ٣٠٠ ق.م.. وليست صناعة الأرجوان التي تحدد من هو كنعاني على مدى الزمن. من هنا أيضًا، الموارد ليسوا شعبًا: فقد وضع مار مارون مسلًا وتشكل مذهبًا بعد وفاته، بشر من بين أتباعه الرهبان كنعانيي جبل لبنان، ولجأ بعضهم إليه. وأيضًا الروم ليسوا بشعب، فهم ليسوا نفس الشعب اليوناني أو الروسي ولا شعب على حد.

أما من أسلم من مسيحيين، فهو خرج من هويته / ثقافته / دنياه ودخل الأمة (أي الشعب / الإثنية / القومية) * المسلمة بهويته / ثقافته / دنياه المسلمة (ولا نقول العربية)، ولم يعد من دنيا كنعانية ولا من هوية / ثقافة / دنيا كنعانية ولا من أمة / إثنية / قومية كنعانية، بل بات من دنيا وهوية وأمة مسلمة، ولو أنّ جيناته ما زالت كنعانية. وهذه الحال تنطبق على جميع المسلمين. مسلمو المشرق كما غالبية، وليس جميع، الدول العربية، مُعَرَّبون فيما لا تتعاطى به شريعة الإسلام، أضف إلى ذلك أنهم مكنعون جدًا في لبنان، بفعل الإحتكاك مع كنعانيه _ المسمّون "مسيحيون"، إما موارنة أو روم: "مثلاً، شيعة بعلبك يقومون بالدبكة البعلبكية، وهي عادة كنعانية، وليست عربية ولا مسلمة"، ومكنعون بدرجة أقل في المحيط. ومسلمو بلاد فارس "مفرّسون" بسبب أسلافهم الفرس ما قبل الإسلام. هذا أمر طبيعي. لكن تأثير الثقافة العربية أو الكنعانية أو الفارسية من مطبخ أو ملبس أو لغة أو موسيقى... لا يرتقي إلى عدم كون المسلمين من أمة واحدة إسلامية، إذا يطبقون إسلامهم كما يجب بالحد الأدنى (طبعًا هناك تمايز ضمن المذاهب والفرق المسلمة وخلافات فقهية). طبعًا هناك جماعات أقلوية محسوبة على الإسلام وهي غير مؤمنة، أو مؤمنة إنما جد "متحررة"، لكن هذا تفصيل. أما عدم إيمان أقلية من "مسيحيي لبنان" فلا يتعارض وهويتهم الكنعانية، فالكنعانيون منهم من هو مؤمن بالمسيحية (وهم الغالبية) ومنهم من هو بغير مؤمن.

* ملاحظة: "قومية" هي حرفيًا "إثنية". "إثنية" هي تعريب "Ethnicity"، من اليونانية "Ethnos"، أي "قوم". و"أمة" مرادف لـ "شعب" ولـ "قوم".

والكنعانيون والمسلمون في لبنان هم لبنانيون إداريًا / قانونيًا فقط، وليس اجتماعيًا. لبنان كان أرضًا وجزءًا من بلاد كنعان، سكنها كنعانيون. ليس هناك علميًا شعب لبناني لناحية السوسولوجيا (ذكرنا فقط استعمال الاسم بين ٦٧٦ و ٩٠٠ من قبل مسيحيي جبل لبنان). حاليًا في لبنان شعبان، وطبعًا يتشارك أمور، قد نقول "كثيرة"، لكنهما غير منصهرين.

دخلت السياسية عمق "المارونية"، مع ما جاء بالإفادة من صمود ١٣٠٠ عامًا بوجه المسلمين، لكن هذا لا يجعل صحيحًا تدخل البطارقة بالسياسة والدفاع بل ببقية "خطأ" من ناحية الفقه مسيحي. العلمنة هي في صلب الديانة المسيحية. وليست كل علمنة تعني فصل الدين عن الدولة. ممكن أن تعني فصل المؤسسات الكنسية عن الدولة (Disestablishment)، أي منع تدخلها بالسياسة، وأن يبقى دين الدولة هو المسيحية، وأن يتم تشريع قوانين إنطلاقًا من الرؤيا المسيحية، طالما التشريع صادر عن مجلس النواب وليس عن المؤسسات الكنسية، ونكرّر، دونما أن تتعاطى الكنيسة في السياسة. ومن المفيد أن تنسحب بركي (وباقى الكنائس) يومًا ما من الحياة السياسية وتسهّر على تعليم مبادئ يسوع بطريقة يلتزم بها الحكام المدنيين عفوياً دون أن تضطر هي إلى أن تستلم زمام الأمور.

ودخلت السياسة عمق "الرومية" - البيزنطية حينها، فكل الجامعات الأولى السبعة المشتركة بين لاحقًا الكاثوليك والأرثوذكس (ولن نتطرق للتي تلتها في روما أو في الشرق) جاءت بحضور الأباطرة وتدخلهم المباشر، سيّما وأنّ القسطنطينية كانت العاصمة الرومانية الثانية خلف روما قبل ٣٩٥ بقرار من قسطنطين الذي غيّر اسمها من بيزنطيا، وباتت عاصمة بيزنطيا (الإمبراطورية) بعد ٣٩٥، وخلفيدونيا ونيقيا كانتا صاحبتين منها، وأفسس ليست ببعيدة. ولهذا سمّى السريان الخلقيدونيين بـ "الملكين" (وليس "روم" - للناحية المذهبية)، أي "الخاضعين للملك"، ودعموا المسلمين إبان الغزو الإسلامي، الذي ظلّونه يأتي بمذهب مسيحي جديد يشبه من بعيد المونوفيزية بفكرة الـ "مونو" / لا إله إلا الله، يحررهم من نير الملك البيزنطي.

بالخلاصة، الدعوة الأولى ليست باتحاد الروم والموارنة تحت راية الهوية الكنعانية المشتركة لأن التعددية المارونية ستغلب بظل "المؤرنة" القائمة، بل بالدخول بمشروع تتعهد فيه بركي أن تنسحب من السياسة بعد أن تكون قد أتمت

مهمتها بنجاح، رغم خضّات عديدة، منذ ٦٧٦ حتى تحقيق استقلال اجتماعي وثقافي وسياسي تام، عبر نظام فدرالي ضمن لبنان الكبير أو تقسيم لبنان، على أساس ثقافي كنعاني - مسلم. من بعدها، وبانسحاب رجال الدين الروم من السياسة أيضاً، يحافظ الموارنة والروم على ليتورجيّتهما، ولكن يخرجون من الاصطفاف السياسي والإداري والقانوني المخالفين لجوهر الديانة المسيحية، والمخالفين أيضاً للوحدة الإجتماعية القائمة.

وأي رفض للموارنة بالسير بهذا الإتجاه سيصعّب الأمور عليهم وعلى الروم، حيث باستثناء قضاء الكورة، الروم جغرافياً مبعثرين. لذا أدعوكم يا إخوتي الروم، إخوتي بالكنعانية كما بالمسيحية، بمساعدتي على إصلاح وضعية كنيسة المارونية، لإصلاح ديانتني المسيحية، بالتوازي مع إصلاح مجتمعي الكنعاني، الذي يضم أيضاً غير مؤمنين، لن يضطروا حينها إلى المطالبة بقيض غير طائفي وبمذهب "علماني" (لا عيب بالمطالبة ولا عيب بهكذا قيد لكن لا حاجة لهما إذا يتم تصحيح الخلل!)، حيث نحن وإياهم كنعانيين، ونقبلهم على أساس: "ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاخرجوا خارجاً من ذلك البيت أو من تلك المدينة وانفضوا غبار أرجلكم" (مت ١٠/١٤؛ مر ١١/٦؛ لو ٩/٥ و ١١/١٠)، ونعيش مسيحيتنا كما يتوجب إلى جانبهم عسى يتعظوا، وبالنهاية كل نفس تخلص نفسها، وهذا جوهر المسيحية. ولكننا نكون يداً واحدة، مسيحيين وغير مؤمنين، موارنة وروم، في الدفاع عن هويتنا الكنعانية، لنعيش حريتنا بسلام وازدهار وانفتاح على المحيط دون خسارة أنفسنا، عسى يتّعظ منا.

د. مارك الأشقر،

بيروت، لبنان

آذار ٢٠٢٢